من المخطوطات المصرية القديمة: "بردية هاريس"

د.ة أم الخير العقون*

يُعرّف المخطوط بأبسط معانيه أنه المكتوب باليد في أي نوع من أنواع الأدب، سواء كان على ورق أو على أية مادة أخرى كالحجارة أو الألواح الطينية القديمة أو الجلود أو غيرها. والمخطوطات القديمة في الشرق الأدنى القديم هي التي كتبت على ورق البردي[1] وترجع أقدمها إلى القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد، وبقي استخدامها ساريا لدى المصريين واليونان والرومان لغاية القرن الرابع الميلادي[2].

وإن كان اعتمادنا الأساسي لدراسة تاريخ مصر وحضارتها يقوم أساسا على الآثار وما تمدنا به من معلومات، فإنما يستوي في ذلك ما هو مسطر على جدران المعابد والمقابر أو على التماثيل أو على قراطيس ولفائف البردي. ولم يكتب قدماء المصريين قبل عهد مانيتون[3] بقصد تسجيل الحوادث التاريخية كما نفهم التاريخ الآن، أو حتى كما فهمه اليونانيون، ولكنهم كتبوا لغرض آخر وهو تسجيل حوادث معينة لغرض معين..

لقد ترك المصريون تراثا زاخرا من الأدب يمثل أكثر اتجاهاتهم في الحياة أصدق تمثيلا، وإن غلب عليه الطابع الديني فقد عرف تنوعا في مواضيعه ومنها أدب القصة، النصيحة، الحكمة، السحر، الفلك، الطب والرياضيات...، وتزخر متاحف العالم بقراطيس بردي مصرية بعضها نسخ وبعضها أصلي، ومن أشهر هذه الوثائق:

بردية تورين (turin) بالمتحف الإيطالي وتخوض في موضوع الضرائب.

بردية ولبور (Wilbour) وتخص عملية مسح الأراضي وفرض الضرائب، وهي من أطول اللفائف إذ يصل طولها عشرة أمتار.

بردية إيبرس (Ebiers) في الطب وتبلغ عشرين مترا.

بردية رند (hindr) في الهندسة.

بردية إدوين سميث (E.Smith) في الجراحة والطب.

وقد كانت المخطوطات الملكية تمثل أشهر الأشكال الأدبية التي تطورت في مصر الفرعونية، وهذا ابتداء من زمن الدولة القديمة[4]، فقد كتب الفراعنة مخطوطات لها علاقة بالنذور، أي المخطوطات التي تسدل تكريس

* - قسم التاريخ و الآثار كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية جامعة وهران.

بعض الأشياء المقدمة للإله أو تصنع من أجل الآلهة مثل المباني، و كانت هذه المخطوطات تتخذ أشكالا مختلفة بسيطة أو معقدة، ولكن العنصر الأساسي فيها كان تحديد شخصية الملك والتعريف به وذكر الهدايا أو الأعمال الخيرية التي قام بها، وحرصت على ذكر المناسبة التي حصل فيها الإهداء.

ومع مرور الوقت حدثت تطورات أنتجت أخيرا الشكل والإطار النهائي الآتي :

اسم الفرعون (الملك) وألقابه، علاقاته الخاصة بالآلهة.

ذكر الحوادث التي تثبت النقطة الزمنية أي المناسبة.

ذكر أعمال الخير، وهي عادة ما تكون عملية بناء جديد أو ترميز وإصلاح القديم أو تقديم الهبات والقرابين.

ومن أشهر المخطوطات الدينية المذكورة آنفا، اخترت بردية هاريس (Harris)[5] لأسلط عليها الضوء وأحاول أن أطبق عليها بعض مقاييس دراسة المخطوط.

وأجد من الأهمية بمكان الإشارة إلى صعوبة وأحيانا استحالة إتباع نفس الخطوات التي يخضع لها المخطوط المنتمي للفترة الإسلامية أو العثمانية، وأحيانا يتعلق الأمر بعدم جدوى تطبيق بعض المقاييس مثل الموازنة بين المخطوط والموضوع ، تعريف المؤلف وعصره السياسي والعلمي، ترجمة المؤلف، منهج المؤلف... لأنها عناصر أسقطها التاريخ لعدم أهميتها حسب منظور الفترة الزمنية التي كتب فيها المخطوط.

ولا أدعي تحقيق هذه الوثيقة، فقد قام بترجمة نصوصها من الكتابة المصرية القديمة إلى لغات حية ثلة من علماء المصريات ذائعي الصيت، فوجدوا صعوبات جمة في ترجمة فقراتها، وذلك لصعوبة التحكم في قواعد اللغة المصرية القديمة.

وهم على التوالي :

1- عالم المصريات الأمريكي جيمس هنري برستد 1865-1935 مؤسس الدراسات المصرية القديمة (Egyptologie) في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد ترجم أهم النقوش التاريخية في مختلف العصور الفرعونية.

- Ancient records of Egypt 1906-1907 Historical documens.

2- عالم المصريات الألماني ج.ب أدولف إرمن

(J.P Adolph Erman) 1854-1937.

3- عالم المصريات الإنجليزي آ.هندرسن جاردز

(Sir Alan Handerson) 1879-1963،الذي ترجم الكثير من البرديات ، وله اهتمام كبير باللغة المصرية القديمة.

ولقد اعتمدت على الدراسة الأولى التي صدرت لـ "برستد" وهي في الجزء الرابع من مؤلفه الضخم. يحتوي هذا الجزء نصوص الأسر المصرية من الأسرة العشرين إلى السادسة من الكتاب الرابع والعشرين، ومن ضمنها مخطوط هاريس الذي جاء في الفقرات التالية :من 151 وإلى غاية 412.

– التعريف بالمخطوط :

يُعرف هذا المخطوط باسم ورقة هاريس الأولى أو العظمى، نسبة لصاحبها الإنجليزي "هاريس". أما الأولى أو العظمى فلأن هناك وثيقة أخرى تنسب إليه وهي أقل من حيث الحجم والأهمية، أما وثيقتنا فهي أكبر حجما وأهم موضوعا.

تمّ العثور على هذا المخطوط سنة ،1855 وقد جاء في أربعة لفائف بردي (قراطيس) في مكان قريب من معبد الدير البحري[6]،قام بشرائها هاريس في نفس السنة من أحد تجار الآثار، وهي معروضة الآن بالمتحف البريطاني، وتعد من أروع مخطوطات الدولة الفرعونية.

يبلغ طول هذا المخطوط أربعين مترا وخمسة سنتيمترات، وعرضها اثنين وأربعين سنتيمترا ونصف سنتيمتر[7] وإن كانت في الأصل أربعة لفائف إلا أن هاريس قام بتقطيعها إلى تسع وسبعين صفحة [79].

ويذكر إرمن (Erman) أن عددا من الكتاب اشتركوا في تدوينها، والظاهر أن المتن قد أُلف من عدة أجزاء ركبت معا في وثيقة واحدة[8]. ولا نستبعد ذلك لأن الكتابة المصرية القديمة وخاصة في مرحلتها الأولى والثانية أي الهيروغليفية والهيراطيقية، كانت تصويرية معقدة، تتطلب جهدا ووقتا وحيزا كبيرا لرسم حروفها.

لقد كُتبت هذه الوثيقة بالكتابة الهيراطيقية[9]، في مائة وسبعة عشر نهرا(عموديا) في إفاضة لا تتوفر إلا لنسخة أصلية بالغة الأهمية كما يعتقد جاردنر[10].

– موضوع المخطوط :

هذا المخطوط عبارة عن سجلات لهبات الفرعون رمسيس الثالث لآلهة مصر المختلفة ويأتي على رأسها الآلهة الثلاث الكبرى.

1- الإله آمون.رع الإله الرسمي ليس فقط لمصر وإنما فرضت ديانته على كل الأقاليم التابعة للإمبراطورية المصرية، وكانت مدينة طيبة (الأقصر حاليا) مقر عبادته. وكان اعتقاد قدامى المصريين أن الإله آمون هو الأب البشري لكل فرعون يأخذ العرش فيصبح وريثا له[11].

2- الإله (آتوم.رع.حور أَختي)، إله مدينة هيليوبوليس التي تقع في جنوب الدلتا (عين شمس حاليا إحدى ضواحي القاهرة)، وقد اعتقد المصريون القدامى أنه الإله الأزلي خالق الكون[12].

3- الإله بتاح، إله مدينة منف وهي أول عاصمة لدولة الفراعنة، وهو إله الصناعة والفنون والحرف، لأنه أنشأ المدن ووضع أجسادا للآلهة (تماثيلها) [13].

وبعد ذكر الآلهة الثلاث العظمى، تأتي معابد الآلهة الصغيرة المختلفة في كل أنحاء ومقاطعات مصر...

– المؤلف:

في المخطوطات العتيقة التي ترجع إلى تاريخ الدولة الفرعونية، البابلية، الفارسية أو غيرها، تبقى شخصية المؤلِف نكرة ومجهولة، ولا تهتم الوثائق كثيرا بذكر اسمه، لأنه وببساطة كل الإنجازات تنسب للحاكم وليس لوزرائه أو مستشاريه فما بالك بالكتاب... ولقد ذكر أحد مترجمي ودارسي هذه الوثيقة، بأن عددا من الكتاب اشتركوا في تدوينها[14].

وبالتالي فنحن ننسبها للفرعون الذي أمر بكتابتها، وبالتالي فهذا المخطوط يعود لصاحبه الفرعون رمسيس الثالث، وهو آخر الفراعنة العظماء، وبوفاته بدأت نهاية وزوال الإمبراطورية المصرية. لقد حكم هذا الملك واحدا و ثلاثين سنة (1192 ق.م–1160 ق.م)، وهو ثاني ملك في الأسرة العشرين المصرية، وكان عهده فترة صحوة بين عهدين فاسدين، وجميع جهوده أثمرت في البداية حيث أنقذ مصر والشرق الأدنى القديم من خطر هجرات الشعوب الهندوأوروبية، ولكنه عندما تقدم به السن بدأت عوامل الانحلال تظهر من جديد.

– النقطة الزمنية :

نقصد بالنقطة الزمنية المناسبة التي قدم فيها الفرعون رمسيس الثالث الهبات والأنعام لآلهة مصر، وهي عادة عند سلفه من الفراعنة، فكثيرا ما كانوا يستملون الكهنة إليهم بإغداق العطايا والهبات ليكتسبوا معاضدتهم.

لكن الفرعون رمسيس الثالث– ويعتبر المؤسس العشرين لأن والده لم يحكم سوى عامين– نقم على عيوب الحاكم السابق، واعتبر نفسه منقذا وموهوبا اختارته الآلهة لعرش مصر، لذلك كان عليه تصحيح الوضع. وبحوزتنا نص لوالد رمسيس الثالث يصف فيها حالة مصر قبل وصوله إلى عرش الفراعنة فيقول: "...وقعت مصر فريسة للاضطرابات وأصبح كل إنسان يقنن لنفسه.. ظهر بينهم أرسو[15] الخوري، واعتبر نفسه أميرا... وعامل أعوان أرسو الأرباب معاملة البشر، وامتنع هو عن تقديم القرابين في المعابد..." [16].

ويبدو لنا من هذا النص أن هذا الحاكم الأجنبي (أرسو) قد أهمل الآلهة ولم يقدم لها القرابين، لذلك حمل رمسيس الثالث على عاتقه هذه المهمة وهي تقديم الهبات، وإن كنا نلاحظ من خلال قوائم الإحصائيات الكثيرة المتواجدة بين طيات هذا المخطوط الثمين، أن الفرعون قد بالغ كثيرا في كمياتها وأعدادها، وربما كان ذلك لورع حقيقي من جانبه، وربما كان رغبة منه في إرضاء الكهنة ودفع أذاهم، وبخاصة كهنة الإله الرسمي للإمبراطورية المصرية، الإله آمون.رع، وقد تفاقمت سلطتهم ونفوذهم بعد فشل دعوة الفرعون إخناتون التوحيدية (الأسرة 18)

و سعى من ورائها إلى توحيد آلهة مصر الوضعية في إله واحد هو "آتوم" بقصد التقليل من شأن الإله آمون وكهنته، لكن هذه الثورة الدينية فشلت بوفاة صاحبها، واسترجع كهان آمون سلطتهم بل أصبحت أكبر من ذي قبل.

– أقسام المخطوط :

تتضمن محتويات مخطوط هاريس مقدمة ثم أربعة أقسام متباينة تم ملخص للإحصائيات الواردة في الأقسام الأربعة، وتُختتم بالجزء التاريخي الخاص بالأحداث العظيمة التي وقعت في عهد الفرعون رمسيس الثالث.

– المقدمة :

وقد جاءت في الصفحات الثالث الأولى من المخطوط (قسّم هاريس المخطوط لـ 79 صفحة)، تبدأ بذكر التاريخ "السنة الثانية والثلاثون، الشهر الثالث من فصل الصيف، اليوم السادس[17]. من عهد جلالته ملك الوجه القبلي والوجه البحري، ثم ألقاب الفرعون، وهي كثيرة، وفيها ينسب الملك لأخذ الآلهة ويتشبه بأهم ميزاته كالخالق كآتوم، والمضيء المشرق كرع...

تشمل المقدمة أيضا، الأعمال الجليلة التي عملها الفرعون بوضعه ملكا على الأرض لآبائه الآلهة، وقد ذكرهم مرتين حسب مكانتهم، فبدأ بالإله آمون "رب طيبة" وكان أعظم الآلهة شأنا في مصر وإمبراطوريتها قاطبة، وذكر معه أفراد أسرته من الآلهة المقدسة (الثالوث)، ثم تعرض لذكر إله مدينة هليوبوليس وثالوثها (الأب و الأم والابن) و ، وكذلك ذكر ثالوث مدينة منف، وهؤلاء الآلهة الثلاث كانت عبادتهم سائدة في طول البلاد وعرضها. ثم ختم قائمة الآلهة بذكر الأرباب الصغار.

ونلاحظ من النص الطويل أنه كان حريصا على تخليد سمعته الطيبة في الحياة الدنيا والآخرة مثلا: كان يشبه نفسه بالإله آتوم الخالق المشرق مثل الشمس يضيء العالم السفلي عندما يخترقه، ليعود ثانية إلى الحياة الدنيا فيضيء عليها ويرى ما تركه من أعمال عظيمة للآلهة والناس أجمعين[18].

–القسم الأول:

يبدأ الصفحة من الثالثة ولغاية الثالثة والعشرين [ص.ص: 3–23] ينقسم هذا الجزء إلى قسمين :

1– يخص فيه الفرعون معابد الإله آمون في طيبة وأقاليم مصر وكان مجموعها ستة معابد، ومعبدين خارج مصر أحدهما في كنعان (فينيقيا) والثاني في النوبة (السودان).

ومع ذكر هذه المعابد كمنشآت، كان يستعرض ممتلكاتها من ضياع وحقول وقطعان ماشية وأتباع...

ويبدو من خلال القائمة أنها احتوت المباني القديمة والجديدة التي أضافها رمسيس الثالث، ونتبين أن معبد مدينة "هابو" كانت له مكانة مميزة[19].

يفصل الجزء الأول عن الثاني صورة ملونة للملك واقفا يتعبد أمام ثالوث طيبة المقدس. أما الجزء الثاني فهو عبارة عن قائمة طويلة تحصي ثروات المعابد:

وصف في رواية طويلة بأسلوب بليغ مليء بالزهو يشمل كل المنشآت ومعدات المعابد و الأراضي الموقوفة لها و السفن و العتاد مما منحه الفرعون لمدينة طيبة بهذه المناسبة فقط.(20)

قائمة مفصلة للهبات التي وصلت معابد آمون في مصر طوال مدة حكم الفرعون "رمسيس الثالث" و تبدأ بإحصاء للموظفين الأحرار ، العبيد،الماشية ،السفن ، المدن، الذهب و الفضة،الضرائب التي تُجمع لصالح آمون، الكروم ، اللباس، البخور و غيرها..

يُختتم هذا الجزء بدعاء من رمسيس الثالث لثالوث آمون يتوسّل لهم أن يُضفوا النعم و البركات على ابنه وولي عهده رمسيس الرابع .

– القسم الثاني:

و يخص مدينة "هيليوبوليس" و إلهها "آتوم" و ثالوثه المقدس ، ويأتي هذا القسم من الصفحة 24 إلى غاية 42 ، و بالتالي فهو أقل من سابقه بصفحتين.و يأتي بنفس الترتيب السابق، أي المعابد التي أقامها الفرعون لإله "آتوم"، تليها صورة الفرعون في وضعية المتعبد أمام ثالوث المدينة ثم قائمة أولى يُقرّ فيها الفرعون بممتلكات معابد آتوم في البلاد، ثم قائمة ثانية طويلة دقيقة التفصيل بها هبات الملك السنوية التي قدمها الفرعون لمعابد آتوم طوال فترة حُكمه ، و في آخر هذا الجزء الصلاة الختامية و تضرعات الفرعون لثالوث "هيليوبوليس" ليُقر و يسند ولي عهده رمسيس الرابع على عرش آباءه.

– القسم الثالث:

و يخص منف المركز الرئيسي للإله " بتاح" و معابده في أرجاء مصر، وقد جاء هذا القسم من الصفحة43 إلى 57 ، أي ينقص عن سابقه 4 صفحات، وهو مكون من نفس الأجزاء و ينتهي بالطريقة نفسها.

– القسم الرابع:

من الصفحات السابعة والخمسون ولغاية السادسة والستين [57–66 ص] وقد رتب الكاتب في هذا القسم معابد آلهة مصر الثانوية حسب ترتيبها جغرافيا من الجنوب إلى الشمال، منها القديمة التي أصلحها الفرعون وأخرى جديدة أمر ببنائها؟ ورتب فيها الممتلكات والهبات بنفس الترتيب السباق، وختم هذا القسم أيضا متضرعا إلى التاسوع المقدس أن يرعى ويحمي ولي عهده.

– ملخص الهبات والقرابين:

وهو ملخص طويل من الصفحة السابعة والستين ولغاية الصفحة الرابعة والسبعين [ص.ص:67-74]، وهذا القسم مهم جدا في المخطوط لأنه يلخص لنا تلك الإحصائيات المفصلة الجزئية لكل إله وكل معبد في الأقسام الأربعة السابق ذكرها، وهي عملية مضنية جدا لدرجة أن الكاتب قد وقع في بعض أخطاء الجمع كما لاحظ المحقق الألماني "إرمن"[21]، وفي هذا المقام لن أقدم للقارئ مائة وواحد وعشرين 121 إحصائية، وإنما اكتفى بعينة منها على سبيل المثال:

عدد الأتباع 113433 نسمة.

ماشية متنوعة 490386 رأسا.

أراضي مقدرة بالإنسان، 1071380 حوالي ثلاثة أرباع مليون فدان

حدائق 514.

سفن 88.

مدن في مصر 160 موقوفة للآلهة وليس لخزينة الدولة.

خارج مصر 9

ذهب 7205 دبن و1 قدتت

فضة 11047 دبن و4/1 دبن

مصانع 53 (لصنع السفن والعتاد والتماثيل).

ولضخامة هذه الإحصائيات اعتقد المحققان "إرمن وبرستد" أنها تمثل كل ما تملكه المعابد، ثم تبين فيما بعد أنها فقط ما قدمه الفرعون رمسيس الثالث بمفرده.

– القسم الأخير:

وهو القسم التاريخي ويبدأ من الصفحة الخامسة والسبعين ولغاية آخر صفحة من المخطوط أي التاسعة والسبعين. احتوى هذا القسم الذي ختم به الفرعون رمسيس الثالث مخطوطه الطويل أعماله العظيمة التي عملها من أجل مصر.

ومنها حفر الآبار، غرس الأشجار، استقرار الجند في ثكناتهم وأسلحتهم في مخازنها[22] ثم ذكر رحلاته إلى بلاد بونت (الصومال حاليا) وسيناء، وما جلبه من خيرات كجزية من البلدان الأجنبية، وغنائم حرب قدمها للآلهة وفي مقدمتهم "آمون"[23].

وجاء ذكر وفاته في الصفحة الأخيرة من المخطوط، وفاة الملك وانتقاله للاستراحة في المقبرة مع آبائه الآلهة في السماء والأرض والعالم السفلي (عالم الأموات)، ثم الدعاء الأخير، لتكون الآلهة مخلصة مساندة لولي عهده رمسيس الرابع مثلما فعلت معه هو[24].

– الأهمية التاريخية للمخطوط :

يعتبر هذا المخطوط وثيقة هامة في التاريخ المصري القديم، بل هي أهم مصادر تاريخ الأسرة العشرين بالإضافة إلى نقوش معبد مدينة "هابو"، إذ أنها تلقي كثيرا من الضوء على المسائل الاقتصادية والدينية الخاصة بهذا العصر، وكذلك توضح لنا نظام إدارة المعابد والأحداث التاريخية بصورة جلية.

و نتبين أن فراعنة مصر أحسوا ما لكهنة آمون من بأس بعد فشل دعوة إخناتون، ومن هنا بدؤوا يعملون على إضعاف نفوذهم، فوزع الفراعنة مظاهر عقيدتهم بين أرباب البلاد الكبرى، وأبعدوا فكرة أن "آمون" هو الإله الأكبر، مثلما كان ساريا في الأسرتين 18و19، وإنما جعله واحدا من الآلهة الكبرى وإن بقي محافظا يتقدمهم جميعا.

ولقد عمل الفراعنة الرعامسة جاهدين للقضاء على نفوذ كهنة "آمون" ،هذا النفوذ الذي كان أحد الأسباب التي دفعتهم لاختيار عاصمتهم في الشمال بعيدا عن طيبة مركز نفوذ آمون، وإن كان هو السبب نفسه الذي جعل كهنة آمون في الجنوب بعيدا عن إشراف السلطة الزمنية (الفرعون) وأعطاهم فرصة أكبر لاستغلال نفوذهم.

ويبدو لنا أن رمسيس الثالث كان ضعيفا في معالجة المشاكل والمسائل الداخلية عكس الانتصارات التي حققتها على الصعيد الخارجي، والدليل على هذا الفشل أنه لم يوفق في حل المسائل الدينية الموروثة عن الأسرة التاسعة عشر، فلما تولى الحكم في الأسرة العشرين لم يتخلص من نفوذ الكهنة على العرش بل تركهم يهددون كيان الدولة سياسيا واقتصاديا، خاصة بإغداقه الهبات والعطايا على كهنة آمون (خصومه) الذين أخذوا حصة الأسد ثلثي 3/2 حصص جميع المعبودات كما دلت على ذلك قوائم هذا المخطوط.

لقد كانت المعابد على أيام رمسيس الثالث تملك ثلاثة أرباع مليون فدان أي سُبع (7/1) أراضي مصر المزروعة وهي نسبة تعادل حوالي 15%، ملك منها الإله آمون وحده 583 ألف فدان أي 3/2 ممتلكات مجموع الآلهة.

لقد رتبها "إرمن" كالتالي :

ممتلكات آمون 2392 كم^2.

ممتلكات آتوم–رع 441 كم^2.

ممتلكات بتاح 28 كم^2.

بقية المعابد 99 كم^2(25).

هذا عن الأراضي أما البشر فقد كانت المعابد تمتلك 107 آلاف شخص [26] لخدمة أراضي الآلهة وهذا يمثل 2% من سكان مصر، كان يملك الإله آمون 86486 نسمة.

ويعلق "برستد" على أن عدد 107 ألاف التي أوردها الكاتب في الوثيقة إنما هو عدد الرجال القادرين على العمل، ولم تذكر البردية أفراد أسرهم، وكلهم ساهموا في الأعمال اليومية المتنوعة[27].

هذا عن الأرض والبشر التي عليها، ولا داعي لاستعراض بقية الممتلكات المنقولة.

ونحن نقرأ تفاصيل هبات الفرعون في مخطوط هاريس، بغرض إظهار مدى ثراء كهنة آمون وسلطاتهم، ولا نملك منع أنفسنا من التفكير في مدى تأثير هذا الثراء على نظام الدولة وعلى دخل الدولة (على الصعيد السياسي والاقتصادي).

الحقيقة أن شواهد الأحوال فيما بعد تُبين بأن مصر كانت ترزح تحت عبء الفقر، وأن الحالة الاقتصادية أصبحت على درجة من التدهور في نهاية حكم الفرعون رمسيس الثالث، فقد أصبح عاجزا عن دفع أجور العمال (عمال الجبانة) [28]، مما أدى إلى إضرابهم وأصدق دليل على إفلاس الخزينة أن موظفي ورسل الفرعون كانوا يجيبون العمال المضربين في كل مرة: "ألا غلة في مخازن الحكومة"[29]. بالإضافة إلى حدوث ما عُرف بعام الضياع (عام المجاعة) وهو تعبير عن فقر الدولة والشعب معا، كما تمثلت الأزمة الاقتصادية في ارتفاع الأسعار، حيث أن كيس القمح كان يساوي دبنا واحدا من النحاس في بداية حكم رمسيس الثالث وارتفعت إلى خمس دبنات في عهد رمسيس التاسع[30].

غير أنه وبالمقابل، تكدست ثروات البلاد على مر الأيام في يد طائفة كهنة الإله آمون، فأصبحت وظيفة كبير الكهنة وراثية – بعد أن كانت نعمة يهبها الفرعون ويسحبها متى شاء- وأصبح كل ملك لا يتفق وآراء هؤلاء الكهنة لا يستمر في الحكم طويلا، مثلا رمسيس الرابع حكم سنن سنوات فقط ،أما رمسيس السادس فإنما تقلصت مدة حكمة إلى أربع سنوات .وهذه المدد ضئيلة مقارنة بفترات حكم أسلافهم... بل تطاول الكاهن الأكبر للإله آمون.. المدعو "أمنحتب" في عهد الفرعون رمسيس التاسع، فانتحل لنفسه ما لم يسبقه إليه أحد من قبل وهو نفس صورته إلى جوار الفرعون بنفس مقاسه[31].

أن كهنة آمون في طيبة بالمقابل كانوا يستخدمون ويستغلون الدخل الهائل من محصول ضياعهم وممتلكاتهم والذي قدر بحوالي أربعة ملايين هكتولتر سنويا، للوصول إلى سياسة اقتصادية، كان الغرض منها في نهاية الأمر، جعل كاهن آمون الأكبر يزداد قوة على مر الأيام ليصبح في آخر الأمر قوة سياسية كبيرة في البلاد، ولا نستبعد أن

كهنة آمون لما اغتصبوا الحكم من الفراعنة الشرعيين، وأسسوا الأسرة الحادية والعشرين[32] فإنما كان وراءه استخدام هذه الثروة الطائلة...

–الهوامش:

1– لقد كتب المصري القديم على ورق البردي و هو نبات ينمو على ضفاف النيل يشبه القصب إلى حد ما، يُزال لحاء النبات و يُقطّع إلى قطع طولية توضع جنب بعضها البعض متوازية، ثم توضع فوقها أخري متاقطعة بحيث تكون مع الأولى زوايا قائمة ، وهكذا مرتين أوثلاث ثم تُبلل بالماء و تُدقّ جيدا و تنتج مادة لزجة تلصق الألياف ، و بعد ذلك تُضغط و تُعرّض للشمس فتتكون ورقة متجانسة صالحة للكتابة لونها يقرب من الأبيض و يُكتب على وجه واحد فقط هو الوجه الأملس. و لغلاء ثمنه يستخدم الفقراء و التلاميذ قطع الفخار..

2– عبد العزيز صالح : التربية و التعليم في مصر القديمة.القاهرة: الدار القومية للطباعة و النشر، 1960،ص..358

3– مانيتون: كاهن مصري ألف كتاب "تاريخ مصر" في عهد بطليموس الثاني أي في القرن الثالث ق.م.

4– الدولة القديمة: وهي مرحلة في تاريخ مصر الفرعونية تحتوي الأسر من الثالثة ولغاية السادسة في الفترة الزمنية 2780 ق.م– 2230 ق.م.

5– مخطوط هاريس موجود بالمتحف البريطاني تحت رقم .10053

6– معبد الدير البحري، معبد نخب في ضر الجبل لصاحبته الفرعون المرأة حتشبسوت حكمت في الأسرة 18 فيما بين 1473–1458، يقع في الضفة الغربية كمدينة طيبة (الأقصر حاليا).

7– ويعد بذلك أطول مخطوط بردي على الإطلاق.

8– سليم حسن، مصر القديمة، ج7، "عصر مرنبتاح ورعميسيس الثالث ولمحة في تاريخ لوبية"، القاهرة: مطبعة دار الكتاب المصرية 1950، ص.340.

9– هيراطيقية، وهي مرحلة مبسطة عن الهيروغليفية ومعناها الكهنوتية و كُتبت بها السجلات الحكومية و الآداب و بقية النصوص الدنيوية، و تُكتب الهيراطيقية من اليمين إلى اليسار.

10– آلن جاردنر، مصر الفراعنة، تر: نجيب ميخائيل، ط2، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، ص.321

11 –Adolphe Erman . La religion des Egyptiens, traduit par Henri Wild, Paris.Payot, 1937, p. 44.

12 –Op.cit, .p.46.

13 –Op.cit .p58.

14– لقد عرفت مصر مؤسسات عرفت باسم "دور الكتب" ; وعُرفت باسم "برمزات" منذ القرن الخامس و العشرين ق.م .وإليها ينتمي وينتسب الكتبة، وكانت ترعاهم، إلهة الكتابة "سشات" وكانت أيضا ربة المخطوطات. وقد عرف المخطوط بالمصرية القديمة بعدة أسماء أهمها: "سش"، "أوعوتي" و"مزات". كما وجدت دور أخرى للوثائق الملكية والسجلات المختومة ولقد تبوأ الكتاب مكانة مرموقة في المجتمع المصري، وترقى بعضهم في المناصب الإدارية حتى أصبح أميرا .لذلك كان كبار الموظفين يُحبون تمثيل أنفسهم في هيئة الكاتب البسيطة (جلسة القرفصاء) لأن الكتابة هي المهنة التي وصبوا بها إلى مراكزهم ، و يبدو أن مدلول لقب الكاتب كان يُشرّف كبار الشخصيات أن يحتفظوا به لأنه يُعبر عن مدى ثقافتهم.. .D- Valbelle & Husson, l4Etat et les institutions en Egypte .Paris : Armand Collin , 1992, p.107.

– عبد العزيز صالح، التربية والتعليم في مصر القديمة ص.ص: 360–361.

15– أرسو: ورد اسمه أيضا بصيغة أخرى " بآي" وهو رئيس الديوان، سوري الأصل أرغم أرملته آخر فراعته الأسرة 19 أن تُجلس ولي العهد (وكان صغيرا) على العرش تحت وصايتها وكان آرسو هو الحاكم الفعلي.

- بيومي مهران، مصر، ج2، الإسكندرية: دار الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، 1984، ص142.

16 -Breasted, Ancient records of Egypt, Tome IV,London: university of Chicago press;1906/1907, Para 397 à 400.

17- يعتقد سليم حسن أن البردية بدئ في كتابتها أثناء مرض الفرعون، أما التاريخ الموجود على الصفحة الأولى فهو تاريخ وفاته - سليم حسن، المرجع السابق، ص343.

18- الفقرة الثامنة، الصفحة الثالثة من خاتمة المخطوط.

19- شيد رمسيس الثالث معبد مدينة هابو في الإثنى عشر سنة الأولى من حكمة ونقش عليه كل أعماله الحربية .تبلغ مساحته 64 ألف م2.

20- آلن جارندر، المرجع السابق، ص..322

21- سليم حسن، المرجع السابق، ص473.

22- يبدو أن ما ذهب إليه "جاردز" صحيح وهو أن كتابة هذا المخطوط كانت بعد الفترة التي قضاها الفرعون في حروب مع شعوب البحر في الشرق الأدنى، ومع الليبيين على حدوده الغربية، وقد استمرت الاثنتى عشر سنة الأولى من حكمه.

23- لم يذكر الفرعون رمسيس الثالث أعماله الحربية، وقد أمر بنقشها كاملة على جدران معبد مدينة هابو في طية، ومنها حربين مع الليبيين وحرب مع شعوب البحر.

24 -J.H.Breasted, op.cit, Para 401 à 412

25- سليم حسن، المرجع السابق، ص483-484

26-و رد في ملخص الإحصائيات 113 ألف نسمة، ذلك أن 5164 هم أسرى حرب عبيد أهداهم الملك لمعبد مدينة هابو. أما 107 آلاف فهم أحرار من المصريين يخدمون الأرض الإله.

- بردية هاريس ص11، سطر 3.

27- ج.هـ .برستد، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي،تر. حسن كمال .ط.2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص402.

28- عمال الجبانة الذين يبنون مقبرة الفرعون والأمراء، وهناك بردية في متحف "تورين"Turun الإيطالي تتكلم عن هذا الإضراب.

29 -J.Cerney: Egypt From the death of Ramses III, to the end of the Twentith dynastie, Cambridge .C.A.H, 1980, p.624.

30 -J.Cerney , Op.cit p.620-621.

31- يقضي التقليد المصري في رسم شخص الفرعون بحجم كبير يزيد نسبة كثيرا عن جميع المصريين لأنهم بشر وليسوا حائزين على الطبيعة الإلهية مثل الفرعون (ألوهية الفرعون).

-Yoyotte : Pharaons, guerriers Libyens et grands prêtres « la troisième période intermédiaire » dans Tamis.Paris : Galerie national du grand palais,1987,p.54.

- Husson & Valbelle, Op.cit. p.171.

32- الأسرة الحادية والعشرون أي الحكم الشيوقراطي(الديني) في مصر دام من 1087 إلى 950 ق.م.